التحليل العلمى للجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية فى لغتنا العربية

د. رابح بومعزة*

مقدمة:

هذا الموضوع يلح على ضرورة التمييز بين نوعين من التراكيب الإسنادية ظلا فى تناول نحاتنا العرب، والدارسون المحدثون يتعاملون معهما بمصطلح واحد هو "الجملة". ويرى البحث أن مصطلح "الجملة" ينبغى أن ينفرد للتراكيب الإسنادية التى يحسن السكوت عليها لكونها تتمتع بالاستقلال مبنى ومعنى. أما التراكيب الإسنادية التى لا يسوغ السكوت عليها لافتقارها لذلك الاستقلال فتسمى "وحدات إسنادية وظيفية".

---

* كلية الآداب والعلوم الإجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجمهورية الجزائرية).

بعد استعراضنا طائفة من التعريفات التى حدت بها الجملة العربية من قبل علماء العربية قدمائهم ومحدثيهم، انتهينا إلى أن الفرق الأساسى بين مفهوم "الجملة" ومفهوم "الوحدة الإسنادية"[١] ظل غائبا فى نحونا العربى على نحو يكاد ينظر فيه إلى المفهومين على أنهما رديفان، وبخاصة على المستوى التطبيقى.

وإذا كان الباحث الحصيف "محمد الشاوش" قد أدرك الفرق الذى بين التركيب الإسنادى الحامل مضمونا كليا قصد إليه المتكلم، بحيث يكون هذا المضمون مفيدا مستقلا بنفسه، والتركيب الإسنادى الحامل مضمونا يكفى أن يكون جزئيا لا يستقل برأسه، واهتدى إلى أن هذا التركيب الإسنادى الأخير غير المستغنى عن غيره يسمى فى الفرنسية (proposition)، وفى الإنجليزية (clause)، فإننا نرى أنه لم يحالفه التوفيق حين وضع المصطلح المقابل له فى العربية " شبه الجملة [٢].

وكان قبله الدكتور "أحمد محمد قدور" قد ترجم مصطلح (clause) (proposition) بكلمة "العبارة" [٣] ليكون بذلك قد ابتعد ابتعادا كبيرا عن مفهوم المصطلحين [٤]، والتبس عليه مصطلح "الوحدة الإسنادية"، ذلك أن كلمة "العبارة" لا تؤدى سوى مفهوم (expression)[٥] وإذا كان النحاة العرب من أمثال الاستراباذى، وابن هشام والزمخشرى وابن مالك وسواهم ممن لم يشترطوا فى الجملة أن يكون لها كيان مستقل ، ومن ثم يعدون التركيب الإسنادى الذى يؤدى وظيفة الخبر أو

---

(١) مفهوم الوحدة الإسنادية، ص٤.

(٢) محمد الشاوش: ملاحظات بشأن تركيب الجملة فى اللغة العربية، سلسلة اللسانيات، العدد، ١٩٦٦، ص٢٤٤،٢٤٣.

(٣) أحمد محمد قدور: مبادئ فى اللسانيات، ص١٤١.

(٤) نقصد بذلك المصطلح الفرنسى proposition والمصطلح الإنجليزى clause.

(٥) أحمد خالد: تحديث النحو العربى، موضة أم ضرورة، ص٢٧.

النعت أو الحال وسواها جملة، فإن ثمة باحثا محدثا رأى أنه لو وضع لمثل هذه التراكيب الإسنادية المكثفة فى غيرها مصطلح[١] آخر لكان أجدى فى مجال البحث اللغوى والتحليل النحوى[٢].

ورأى أن "ابن هشام" كان يعنى بالجملة الصغرى مصطلح (clause)[٣]، وأن هذه الجملة إن هى إلا جملة مجازية [٤]، لأنها إذا كانت – حسب رأيه – فى سياق مستقل كانت جملة [٥]. وظل مفهوم الوحدة الإسنادية محفوفا بالغموض معتما مغيبا حتى لدى أولى الإسهامات الحديثة الفاعلة فى اللسانيات كما بينا.

وأمام ما سجل حيال الوحدة الإسنادية من اشتباه واضطراب لم يسلم منه لا القدامى ولا المحدثون آلينا على أنفسنا أن نسهم فى قطع دابر هذا اللبس، محاولين إزالة الغموض الذى يكتنف كلا من الجملة العربية والوحدة الإسنادية، وبخاصة بعد أن مهد لنا سبيلنا هذه الأستاذ الفذ "أحمد خالد" فى كتابه المشار إليه آنفا[٦].

وقبل أن نتناول مصطلح "الوحدة الإسنادية" و ما يحيط به من حيث المبنى والمعنى، نرى من الأهمية بمكان الوقوف عند الإسناد من حيث مفهومه، وأهميته بوصفة معنى نحويا لا يمكن أن تتألف أية جملة أو وحدة إسنادية ما لم تبن عليه. فما مفهوم هذا الإسناد الذى له هذه الأهمية ؟

---

(١) يقصد مصطلح الجملة الصغرى، ينظر ص٢٥.

(٢) محمد إبراهيم عبادة: الجملة العربية دراسة لغوية نحوية ص٣٢،٣١.

(٣) محمد إبراهيم عبادة: المرجع نفسه،٣٢.

(٤) أى أن إطلاق مصطلح جملة عليها إن هو إلا إطلاق مجازى. ينظر السيوطى: همع الهوامع، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم وعبد السلام هارون، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٥، ٦٧/٥.

(٥) محمد إبراهيم عبادة: الجملة العربية دراسة لغوية نحوية، ص٣٢.

(٦) الموسوم بعنوان: "تحديث النحو العربى موضة أم ضرورة".

الإسنـاد:

مفهومه لغة: إذا بحثنا عن المعنى اللغوى للإسناد وجدناه مصدرا للفعل الرباعى "أسند"، ويقال أسند إلى الشئ كذا أى جعله معتمدا عليه. وأسند الحديث معناه عزاه إلى قائله ونسبه إليه، "وهو إضافة الشئ إلى الشئ" (١).

وهو فى اصطلاح النحويين "ضم كلمة أو ما يجرى مجراها(٢) إلى أخرى، بحيث يفيد الحكم، وهو نقطة الارتكاز بأن مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأخرى أو منفى عنه"(٣) وهو ارتفاع نسبة تامة بين كلمتين لوجود علاقة تبين تعلق إحداهما بالأخرى(٤). لأن علاقة الإسناد هى المكون الأساسى للجملة أو الوحدة الإسنادية(٥). والنسبة كما عرفها "الشريف الجرجانى" هى "إيقاع التعليق بين الشيئين"(٦) أى بين اللفظين المكونين للتركيب الإسنادى. كنسبة الخبر إلى المبتدأ، وكنسبة الفعل إلى مرفوعه، ذلك أن التعليق قذ يكون بين اسم واسم، أو فعل واسم. وقد يكون الإسناد الخبرى بين وحدتين إسناديتين، وذلك بضم إحداهما إلى الأخرى نحو الإسناد الذى فى الآية الكريمة: (والذى خبث لا يخرج إلا نكدا) (الأعراف/ ٨٥). حيث إن كلا من المسند إليه والمسند هو وحدة إسنادية(٧) انطلاقا من أن التركيب الإسنادى الذى

---

(١) الشريف الجرجانى: التعريفات، ص٢٣.

(٢) يقصد بما يجرى مجرى الكلمة "الوحدة الإسنادية" أى التركيب الإسنادى الذى يقوم مقام الكلمة.

(٣) التفتازانى مسعود بن عبد الله سعد الدين: شرح تلخيص المفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص٣٠.

(٤) محمد على بن على التهانوى: كشاف اصطلاحات الفنون، خياط، بيروت، د.ت، ٦٤٢/٣.

(٥) مصطفى جطل: نظام الجملة عند اللغويين العرب فى القرنين الثانى والثالث للهجرة، مكتبة كلية الآداب جامعة حلب، د- ت، ص٩.

(٦) الشريف الجرجانى: المرجع نفسه، ص١٣٢.

(٧) بو معزة رابح: تصنيف لصور الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية وتيسير تعلمها فى المرحلة الثانوية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر،٢٠٠٤، ٢٠٠٥، ص٨٣.

تتبنى عليه الجملة أو الوحدة الإسنادية[١] ليس مطلق التركيب، بل تركيب الكلمة مع الكلمة إذا كان لإحداهما تعلق بالأخرى على السبيل التى بها يحسن موقع الخبر[٢]. فالمنسوب إليه مسندا، والمنسوب إليه مسندا إليه[٣] على حسب وظيفة كل منهما فى الجملة أو الوحدة الإسنادية.

ولما كان الإسناد رابطة معنوية بين الفاعل وما يطلبه يكون موجودا من كل تركيب به فاعل كما يكون موجودا بين المبتدأ وخبره[٤]. كما يكون موجودا بين الوصف والمرفوع بعده[٥].

ولما كان الإسناد لا يتأتى بدون طرفين مسند ومسند إليه عد النحاة العرب هذين الطرفين عمادى الجملة والوحدة الإسنادية لأنهما العماد فى بنائهما، لا يستقيم تركيبهما الإسنادى بدونهما بوصفهما "اللوازم للجملة والعمدة فيها وهى لاتخلو منها وعداهما فضلة"[٦]. وهذا الإسناد الذى يشكل أساس العلائق فى الجملة العربية[٧]، إذ يعد بؤرتها وأهم علاقة فيها[٨]، يرى الدكتور مهدى المخزومى أنه "عملية ذهنية تعمل على ربط المسند بالمسند إليه"[٩]. هذه العملية الذهنية ينجزها ذهن المتكلم حين يدرك أن ثمة علاقة ما بين شيئين يريد التعبير عنهما فيتم فى الذهن الربط بينهما

---

(١) بو معزة رابح: المرجع نفسه، ص٨٥.

(٢) ابن يعيش: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ٢٠/١.

(٣) التهانوى: كشاف اصطلاحات الفنون، دار الكتب، القاهرة، ١٩٤٥، ٦٤٢/٣.

(٤) وبين اسم الناسخ وخبره.

(٥) محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، ص٩٥.

(٦) ابن يعيش: شرح المفصل، ٧٤/١.

(٧) وكذلك فى الوحدة الإسنادية.

(٨) مصطفى حميدة: نظام الارتباط و الربط فى الجملة العربية، مكتبة لبنان، ناشر والشركة المصرية والعالمية للنشر، أو نجمام، دار توبقان للطباعة والنشر، مصر، ط١، ١٩٩٧، ص٧.

(٩) مهدى المخزومى: فى النحو العربى، نقد وتوجيه، بيروت، ١٩٦٤، ص٣١.

بومظة الإسناد. يقول الجرجانى: "معانى الكلام كلها لا تتصور إلا فيما بين شيئين، والأصل والأول هو الخبر"[١] ويقصد بالخبر المسند.

فالجملة الفعلية البسيطة "نجح المجتهد" نجدها تعبر عما فى ذهن المتكلم من صورة تامة قوامها المسند إليه (الفاعل) وهو "المجتهد" والمسند (الفعل) وهو "نجح" ونجدها توضح إسناد النجاح إلى المجتهد.

فالعملية الذهنية التى ربطت بين النجاج والاجتهاد هى ما يسمى بالإسناد. فالمتكلم لم ينطق بالفعل "نجح" إلا وهو يريد إسناده إلى "المجتهد" ولو لم يكن فى الذهن تفكير فى الإسناد يسبق النطق بالمسند والمسند إليه لكانت هذه الألفاظ ليس لها سوى دلالتها المعجمية. ولقد أوضح الزمخشرى أهمية الإسناد الذى هو رابط ذهنى بين المسند والمسند إليه اللذين رأى أنهما لو جردا منه لأصبحا فى حكم الأصوات التى حقها أن ينعق بها غير معربة لأن الإعراب لا يستحق إلا بعد العقد والتركيب[٢].

والجملة التامة التى تعبر عن أبسط الصور الذهنية التى يسوغ السكوت عليها، والوحدة الإسنادية فى حدهما الأدنى بوصفهما بناء ثنائى الشكل.[٣]
والتكوين يلاحظ أن قوامهما عناصر ثلاثة هى:

١) المسند إليه أو المتحدث عنه أو المبنى عليه.
٢) المسند الذى يبنى عليه المسند إليه. وهو ما يتحدث عنه.
٣) الاسناد: وهو المعنى المدرك الرابط بين المسند والمسند إليه[٤].

---

(١) عبد القاهر الجرجانى: دلائل الإعجاز، ص٤٠٥.

(٢) الزمخشرى: المفصل، ص٢٤.

(٣) يقصد بذلك انه ينقسم إلى جملة أو وحدة إسنادية فعلية أو اسميه، ويتكون فى أقصر صورة من مسند ومن مسند إليه.

(٤) مهدى المخزومى: فى النحو العربى، نقد وتوجيه، ص٣١.

ذلك أن الإسناد الذى يقتضى صحة التناسب بين المسند والمسند إليه فى اللغة العربية يتطلب تحرى النحويين استقامة الشكل وصحة الصناعة. ويكفى فيه إنشاء علاقة ذهنية بين موضوع ومحمول، أو مسند ومسند إليه دون حاجة إلى التصريح بهذه العلاقة نطقا وكتابة[١]، لأن الإسناد الأصلى هو نسبة إحدى الكلمتين حقيقة أو حكما إلى أخرى سواء أكان مقصودا[٢] لذاته أم لا[٣] فالرابطة الإسنادية هى رابطة معنوية ضمنية. وتلك الرابطة هى نسبة أحد ذينك العنصرين إلى الآخر بقرينة معنوية يدل عليها السياق. ويسميها عبد القاهر الجرجانى "التعلق" ويسميها اللسانّى الغربى "تسنيير" connexion. وتحصل بتكامل المسند والمسند إليه وبتزاوجهما علاقة بيان لا تقوى الكلمة المفردة على أن تصل إليه أو أن تقدمه[٤].

ففى الجملة الفعلية أو الوحدة الإسنادية الفعلية قد يحذف المسند إليه (الفاعل)[٥] فى البنية السطحية[٦] فى نحو التركيب الإسنادى (الجملة المركبة) "جاء يمشى"[٧].

---

(١) عثمان امين: فلسفة اللغة العربية، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، ١٩٦٩، ص٢٥.

(٢) يعنى بالمقصود لذاته: التركيب الإسنادى فى الجملة الممتعة بالاستقلال. ويعنى بغير المقصود لذاته التركيب الإسنادى فى الوحدة الإسنادية التى تفتقر إلى هذا الاستقلال.

(٣) الاستراباذى: شرح الكافية ٨/١.

(٤) أحمد خالد: تحديث النحو العربى، موضة أم ضرورة، ص٣٥.

(٥) وقد يحذف أيضا المسند إليه (نائب الفاعل).

(٦) البنية السطحية تمثل الصورة الفعلية المحسوسة للجملة أو الوحدة الإسنادية من حيث النطق، ومن حيث العناصر المكونة لها. والبنية العميقة هى الصورة المثالية الكاملة للجملة أو الوحدة الإسنادية. وهى التى لا تظهر فى الكتابة و لا يتلفظ بها. فهى حسب اللسانيين موجودة فى ذهن المتكلم من حيث الدلالة و العناصر المكونة لها فى صورتها الأولى. ينظر عبده الراجحى: النحو العربى و الدرس الحديث، بحث فى المنهج، ص١٤٣.

(٧) يلاحظ أن فاعل الجملة الفعلية "جاء" بنيته العميقة هى "هو". وفاعل الوحدة الإسنادية الفعلية "يمشى" المؤدية وظيفة الحال بنيته العميقة هى "هو" أيضا.

ولكن حذفه لايلغى وجوده فى البنية العميقة. لأن تقديره واجب دل على وجوبه حصول الفائدة التى لا تتحقق بدونه[١]. وأساس ذلك أن الأصل فى التركيب الإسنادى التام أن ينهض على دعامتين ممثلتين فى مثل هذه الجملة الفعلية فى الفعل وفاعله. فلما حذف أحد الركنين وجب تقديره لأنه جزء من نواة الجملة لم يكن ملفوظا[٢]، ولكنه منوى ذهنا، لأن مضمون فكرة النحاة عن نظام الجملة أو الوحدة الإسنادية يرتكز على وجود الإسناد[٣].

وبعد أن عرفنا أن من أهم خصائص التركيب الإسنادى أنه ثنائى الشكل والتكوين، يتألف من ركنين ضروريين هما فى اصطلاح اللغويين المسند والمسند إليه اللذين يمثلان وحدة لغوية متماسكة متكاملة فى الجملة أو الوحدة الإسنادية، سواء أكانت تلك الجملة أو الوحدة الإسنادية فعلية أم اسمية. نحاول أن نعرف ما الذى يمكن أن يكون مسندا أو مسندا إليه فى هذا التركيب الإسنادى التام.

أولاً : ما يكون مسندا إليه و ما يكون مسندا فى الجملة الاسمية أو الوحدة الإسنادية الاسمية :

يسجل أن مواضع المسند إليه فى هذا النوع من التركيب الإسنادى هى: المبتدأ وما أصله مبتدأ كاسم كان وأخواتها، واسم أفعال الشروع، واسم إن وأخواتها. أما: ما يكون مسندا فى الجملة الاسمية أو الوحدة الاسنادية الاسمية: فهو خبر المبتدأ وأخبار النواسخ الفعلية والحرفية.

---

(١) حسن خميس سعيد الملخ: التفكير العلمى فى النحو العربى، ص١٨٧.

(٢) حسن خميس سعيد الملخ: المرجع نفسه، ص١٣٦.

(٣) ونائب الفاعل عد مسندا سلبيا. ينظر د. هاشم إسماعيل الأيوبى: الجملة العربية بين النحو والبلاغة والتواتر، ص٣٩.

ثانياً : ما يكون مسندا و ما يكون مسندا إليه فى الجملة الفعلية أو الوحدة الإسنادية الفعلية:

يلاحظ أن مواضع المسند فى هذا الصنف من التركيب الإسنادى هى: الفعل التام[١] واسم الفعل[٢]، والمصدر النائب عن فعل الأمر[٣]، والوصف[٤]، والمفعول الثانى لظن وأخواتها[٥]، والمفعول الثالث لأرى وأخواتها[٦]. أما ما يمكن أن يأتى مسندا إليه فى التركيب الاسنادى الذى سلفت الإشارة إليه فهو: فاعل الفعل التام أو شبهه[٧]، ونائب الفاعل للفعل التام أو شبهه[٨]، والمفعول الثانى لأرى وأخواتها[٩]، والمفعول الأول لظن وأخواتها[١٠].

وهذا بيان ما يمكن أن يكون مسندا وما يمكن أن يكون مسندا إليه فى الشكلين التاليين:

---

(١) بو معزة رابح: المرجع السابق، ص٩٣، ٢٨٠.

(٢) اللسانيين: يقصد بهم علماء اللسانيات.

(٣) والصواب اللسانيون.

(4) Maurice Grevisse. Le bon usage (sur la langue française d`aujourd`hui) ed. Seuil, Paris, 1980. P. 163.

(٥) أحمد خالد: تحديث النحو العربى، موضة أم ضرورة، ص ٣٠-٣١.

(٦) أحمد خالد: المرجع نفسه، ص٣٥.

(٧) فى الجملة الاسمية البسيطة.

(٨) أبو على الفارسى: الإيضاح العضدى، ص٩.

(٩) أحمد خالد: المرجع نفسه، ص ٣٥.

(١٠) أحمد خالد: المرجع، ص ٣١. وينظر سيبويه: الكتاب، ٢٣/١.

الشكل الأول:

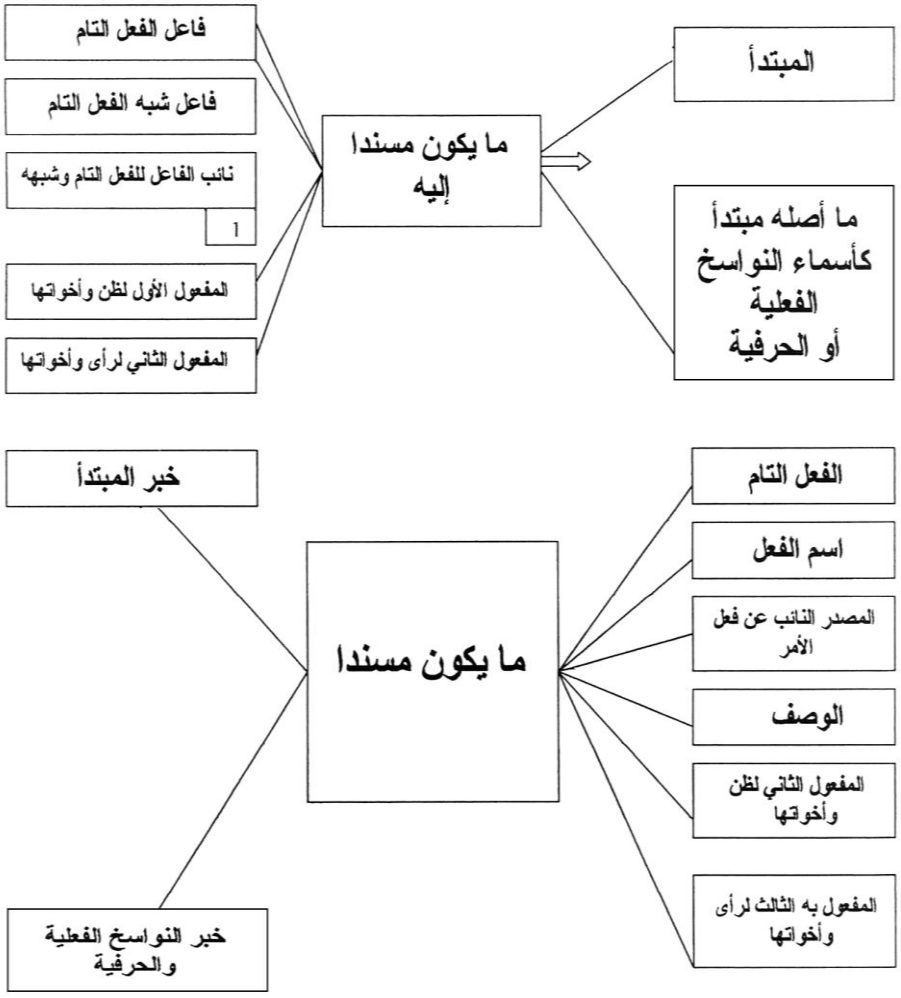

– الشكل الثانى –

حد الوحدة الإسنادية:

قبل تقديم تعريف الوحدة الإسنادية يحسن بنا أن نسوق التعريف الذى أورده "أحمد خالد" لمصطلح (proposition) (clause) عند اللسانيين[١] الغربيين الذى مفاده أنها وحدة بنائية إخبارية يعبر بها الإنسان عن حدث أو موقف يعيشه، بخلج وجدانه وباطنه، يتفاعل معه ويخامر ذهنه. إنها بيان رأى أو حكم أو انطباع أو إحساس أو طلب أو أمر أو استفهام أو تعجب. وتكون الوحدة البيانية جزءا من الجملة كما قد تكون جملة كاملة وتتألف الوحدة البيانية من عنصرين أساسيين هما الفاعل (suje) و الفعل (prédicat) الذى قد يعوض بالاسم وتنشأ عنهما علاقة ترابط و بيان أو إسناد يسميها اللسانيون[٢] الغربيون رأيا أو حكما (Jugement).[٣] فالوحدة الإسنادية (البيانية) حسب هذا الحد تتألف من مسند إليه ومسند (sujet prédicat).

ويسجل أن هذين الركنين الأساسيين فى بناء الوحدة الإسنادية قد يضاف إليهما متممات فى نحو الوحدة الإسنادية الآتى ذكرها. أرى أنك تفهم je vois que vous comprenez [٤]. فالوحدة الإسنادية هى تركيب إسنادى أساسى و قاعدى فى بناء اللغة العربية ونسيجها[٥] عماده المسند والمسند إليه اللذان يلاحظ أن بينهما رابطة إسنادية معنوية تسمى الإسناد، تجعل كلا من الركنين المشار إليهما متعلقا بالآخر. سواء أكان ذلك التعلق والائتلاف بين الاسم والاسم[٦]، أو بين الاسم والفعل[٧]

---

(١) أحمد خالد: المرجع نفسه، ص ٣٥.

(٢) أحمد خالد: المرجع نفسه، ص ٤١، ٤٠.

(٣) ابن جنى: الخصائص، ١/١٧-١٩.

(٤) أحمد خالد: المرجع نفسه، ص ٤٠.

(٥) صور الوحدة الإسنادية الوظيفية ص ٨٥، من هذه الرسالة.

(٦) محمود أحمد نحلة: مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص ٢٤.

(٧) محمد الشاوش: ملاحظات بشأن تركيب الجملة فى اللغة العربية، سلسلة اللسانيات، ص ٢٤٤.

فيحصل بتكاملهما وبتزاوجهما علاقة بيان تؤديها هذه البنية القاعدية الصغرى للغة ذات الشكل الثنائى؛[١] ذلك أن أصغر وحدة إسنادية تجمل معنى وتبلغ فائدة لا يمكن أن يتجاوز تحليلها إلى أقل من العنصرين المذكورين". ومفهوم الوحدة البيانية (proposition) بعنصرين الفاعل + الفعل (sujet + prédicat) عند النحاة الغربيين يطابق مفهوم مصطلح "الوحدة الإسنادية (فعل + فاعل) أو (المبتدأ + خبر) الذى أقترحه بسند عربى صحيح فى الرؤية الجديدة لتحليل الجمل العربية وإعرابها"[٢]. وقد سمى سيبويه الوحدة الإسنادية "المسند والمسند إليه" وذهب بعضهم إلى أن هذه الوحدة الإسنادية من أقدم التشكيلات البنوية إذا كانت اسمية[٣]. والأستاذ "أحمد خالد" لا يشترط فى الوحدة الإسنادية أن يستوفى مبناها ومعناها وأن تكون مستقلة عما قبلها وبعدها، ويرى أنها إذا كانت مستقلة بنيويا بذاتها مستوفاه معنى يحسن السكوت عليه عدت جملة بسيطة مستقلة؛[٤] حيث يقول: "فإذا لم تكن حاكمة ولا محكومة اعتبرت الوحدة الإسنادية مرادفة للجملة البسيطة المستقلة"[٥].

انطلاقا من أن الجملة ما كان من الألفاظ قائما برأسه غانيا عن غيره[٦]. ويرى أنها إذا كانت جزءا من بناء أوسع لا يمكن أن تسمى جملة لارتباطها بما قبلها أو بما بعدها[٧]، ومن ثم فلا تعد إلا وحدة إسنادية ذات وظيفة معينة[٨]، لذلك

---

(١) ابن يعيش: شرح المفصل، ٥٤/٣.

(2) voir Lucien tesniére: Eléments de syntaxe structurale, Edition, Klincksieck, Librairie, paris, 1966, p. 94- 99.

(٣) د. عبد القادر الفاسى الفهرى: اللسانيات واللغة- العربية، ط، بيروت، ١٩٨٦، ص ٥٦.

(٤) عبد القاهر المهيرى: (الجملة فى نظر النحاة)، حوليات الجامعة التونسية، ص ٣٧، ٣٨.

(٥) أى لا تحل محل الفرد – ينظر السيوطى: الأشباه و النظائر، ٢١/٢.

(٦) أبو حيان ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق د. مصطفى النماس، دار نهضة مصر، د.ت، ٣٧٥/٢٥.

(٧) ويسميها بعضهم الجملة المستقلة.

(٨) أحمد خالد: تحديث النحو العربى موضة أم ضرورة، ص٧٣.

وجدناه حين التطبيق يخلط بين الوحدة الإسنادية والجملة. وفهمنا من كلامه وتمثيله أن كون التركيب الإسنادى جملة أو وحدة إسنادية ليس بالصفة الثابتة فيه. وإنما هى حالة قد تتوفر فى سياق وتنعدم فى آخر.

ونحن نخالفه هذا الفهم، ونرى أن التركيب الإسنادى الذى يرتبط بتركيب سابق أو لاحق هو وحده الذى يطلق عليه مصطلح "الوحدة الإسنادية" لأن الوحدة الإسنادية لا تستقل بالمعنى بذاتها، وإنما تعتمد على غيرها. ووظيفتها إذن تتمثل فى المساعدة على أداء المعنى وإتمامه، ونكون بذلك قد ارتضينا تعريف الدكتور "محمد أحمد نحلة" للجملة الفرعية[١] وتعريف "محمد الشاوش" لشبه الجملة[٢] تعريفا للوحدة الإسنادية، ذلك أن مفهوم proposition فى الفرنسية و clause فى الإنجليزية يتناسب مع هذا المنزع؛[٣] حيث إن الوحدة الإسنادية جنس تركيبى لا تنفرد به اللغة العربية، فهو متواجد فى جميع اللغات. وقد اهتمت به اللسانيات الحديثة فى الدراسة البنوية الوصفية للجمل وتحليلها النحوى (structural et logique) syntaxe analyse [٤]. ولقد أكد اللسانىّ الفهرى فى كتابه "اللسانيات واللغة العربية" على تلاقى اللغة العربية مع غيرها من اللغات على الرغم من خصوصيتها فى معرض رده على المفكرين من الباحثين المجددين "نظرية العامل" فقال "ليست العربية كما يدعى بعض اللغويين العرب لغة متميزة تنفرد بخصائص لا توجد فى لغات أخرى، ومن ثم لا يمكن وصفها بالاعتماد على النظريات الغربية" التى بنيت لوصف لغات أوروبية، بل اللغة العربية لغة كسائر اللغات البشرية. فاللغة العربية بصفتها لغة

---

(١) عبد القاهر المهيرى: (الجملة فى نظر النحاة)، المرجع نفسه، ص ٣٨.

(٢) وقد يضاف إلى هذين الركنين الأساسين الواردين مفردين عناصر أخرى غير إسنادية كالمفعول به يشترط أن تكون هذه العناصر مفردة أيضا ينظر صور الوحدة الإسنادية البسيطة الوظيفية. ص ٨٥.

(٣) عصا: خبر وهو مضاف و ياء المتكلم مضاف إليه.

(٤) صدر الوحدة الإسنادية المؤدية وظيفة مقول القول، ص ٢٥٠ من هذه الرسالة.

تنتمى إلى مجموعة اللغات الطبيعية وتشترك معها فى عدد من الخصائص الصوتية والتركيبية و الدلالية وتضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات، وبصفتها عربية تختص بمجموعة من الخصائص التى لا توجد فى كل اللغات وإنما توجد فى بعض اللغات"(١).

ومثال التلاقى التركيب: مسند إليه ومسند (sujet, prédicat) وهى الجنس اللغوى النوعى القاعدى المشترك بين جميع أصناف الجمل(٢). أما التركيب الإسنادى المستقل مبنى ومعنى فأولى له أن يسمى جملة لا وحدة إسنادية. وأساس ذلك أن "الأصل فى الجملة أن تكون مستقلة لا تقدر بمفرد(٣) فتكون جزءا لما قبلها(٤). وهكذا يكون معيار الاستقلال وعدمه هو المميز بين الوحدة الإسنادية والجملة، لأن تعدد المصطلح المسمى الواحد مدعاه هذا الاضطراب وهذا الخلط المسجلين، ولا مبرر له بوصفه لا يعين على إزالة اللبس الذى بين المصطلحين، ثم إننا بتوحيد مفهوم الجملة البسيطة(٥).

مع مفهوم الوحدة الإسنادية نكون قد استمررنا فيما وقع فيه النحاة القدامى من الخلط، وساعتئذ ماذا عساه أن يفيدنا تدقيقنا لتعريف الجملة الذى قصرناه على التركيب نرتضيها للتركيب الإسنادى المستقل وللتركيب الإسنادى غير المستقل.

---

(١) محمد صادق: الإعراب المنهجى، ١/٧٤.

(٢) صور الوحدة الإسنادية المؤدية وظيفة الحال، ص ٢٨٠.

(٣) (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) تعد جملة فعلية مركبة- ينظر- ص ٢٨٣ من هذه الرسالة.

(٤) صور الجملة الإبتدائية ووظائفها البيانية، ص ٣٩٦.

(٥) الزمخشرى: المفصل، ص ١٥١.

أنواع الوحدة الإسنادية:

تقسم الوحدة الإسنادية من حيث البساطة والتركيب إلى قسمين:

أولاً : الوحدة الإسنادية البسيطة:

وهى التركيب المتضمن مسنداً ومسندا إليه يردان مفردين[١] أى غير مركبين، ولا يكوِّنان معنى مستقلا[٢]. وهذا فى أقصر صورها[٣]. فهى من حيث البنية الشكلية مثل الجملة البسيطة فعلية أو اسمية، وتقف على مثالين لها فى الآيتين الكريمتين:

المثال الأول:

قال تعالى: (قال هى عصاى) (طه/١٨) ذلك أن التركيب الإسنادى (هى عصاى) وحدة إسنادية اسمية بسيطة مركبة من المسند إليه (هى) الذى يسمى مبتدأ، ومن المسند (الخبر) عصاى[٤]. وعد هذا التركيب وحدة إسنادية لأنه لا يستقل بنفسه لارتباطه بالتركيب الإسنادى السابق "قال". ويسجل أن هذه الوحدة الإسنادية قد أدت وظيفة المفعول به (قول القول)[٥].

المثال الثانى:

ويتعلق بالوحدة الإسنادية الفعلية البسيطة قال تعالى: (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) (يوسف/١٦). فهذه الآية اشتملت على وحدة إسنادية فعلية بسيطة "هى" يبكون " المؤلفة من المسند الفعل المضارع "يبكى"، والمسند إليه (الفاعل

---

(١) وبعضهم رأى أن اسم الفعل هو فعل سماعى، ينظر- عبد الوهاب مبروك: غى إصلاح النحو، ص ١٥١.

(٢) حسن خميس الملخ: التفكير العلمى والنحو العربى، ص١٨٧.

(٣) محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية- ص ١٣٢.

(٤) أحمد خالد: تحديث النحو العربى موضة أم ضرورة، ص ٤٤.

(٥) ابن جنى: الخصائص، ٢٧٥/١.

المتمثل فى واو الجماعة). ونسمى هذا التركيب وحدة إسنادية لأنه لا يتوافر على شرط الاستقلال، حيث إن هذه الوحدة الإسنادية تأخذ إعراب المفرد[١] وتقوم بوظيفة الحال[٢].

وسمى وحدة إسنادية بسيطة لأنه ينهض على دعامتين أساسيتين ممثلتين فى الفعل و الفاعل اللذين جاءا مفردين لا مركبين. أما التركيب الإسنادى المبتدأة به هذه الجملة المركبة[٣] فى هذه الآية: "وجاءوا أباهم عشاء" فيعد جملة فعلية بسيطة[٤].

والوحدة الإسنادية البسيطة قد لا يظهر فى بينتها الإسنادية السطحية (الظاهرة) ركناها الأساسيان (المسند و المسند إليه) فى نحو الوحدة الإسنادية الفعلية البسيطة الواردة فى قوله تعالى: (ولا تقل لهما أف) (الإسراء/ ٢٩). ذلك أن "أف" هى وحدة إسنادية فعلية بسيطة بنيتها العميقة أتضجر مشتملة على مستند (فعل مضارع) "أتضجر"[٥]، ومسند إليه (فاعل بنية العميقة وتقديره الضمير المستتر "أنا"، لأن حذف المسند إليه (الفاعل) فى هذه الوحدة الإسنادية لا يلغى وجوده بالقوة. إذ إن تقديره واجب دل على وجوبه حصول الفائدة التى لا تتحقق بدونه[٦]، ثم إن الفاعل المستتر المقدر يراد منه إرجاع ما حذف ليأخذ حقه فى تحليل الوحدة الإسنادية التى هى فى جوهرها قائمة على ثنائية المسند و المسند إليه كما أوضحنا.

---

(1) voir Lucien tesniére: Eléments de syntaxe structurale , pp. 94-99.

(٢) محمد إبراهيم عبادة: الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية، ص ١٧٥.

(٣) إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص ٧٩. ود. مهدى المخزومى: فى النحو العربى نقد وتوجيه، ص ٤٠.

(٤) المفعول به هو "أنفس" وهو مضاف و " الضمير المتصل كم" مبنى فى محل جر مضاف إليه.

(٥) ويعد ابن هشام هذا التركيب جملة اسمية. ينظر ابن هشام: المغنى، ٦٧/٢.

(٦) وقد يكون المسند فى الوحدة الإسنادية الاسمية وصفا عاملا. ينظر ص ١٤٢ من هذه الرسالة.

والفكرة التى تنتهى إلى أن الفاعل إن لم يكن موجودا فى البنية السطحية فهو مقدر فى البنية العميقة نابعة من البنية الأساسية للجملة الفعلية التى تقرر أن الفعل لابد له من فاعل.

وهذا الفاعل إذا كان مستترا فإن الاستتار معتبر فى الفهم كأنه موجود[١]. وقد ورد مكونا هذه الوحدة الإسنادية المختزلة[٢] التى لا يظهر فى بنائها الإسنادى القاعدى المسند و المسند إليه مفردين، ووصفت بالبسيطة لأنها جاءت مرتبطة بالتركيب الإسنادى الذى قبلها "لا تقل لهما" غير مستقلة بمبناها و معناها. فهى متممة تؤدى وظيفة مقول القول.

وإذا كانت أسماء الأفعال التى بعدها ابن جنى جملا مفيدة ويعدها اللسانيون الغربيون (كلمات جمل) (mots/ phrares) أو جميلات "phrasillons" لكونها – فى نظرهم– تؤدى المعانى نفسها التى تؤديها الجمل، فإننا نطمئن إلى أن أسماء الأفعال هذه تسمى جملا بسيطة فقط إذا كانت غير واردة ضمن تركيب أوسع نحو اسم فعل الأمر الذى نقف عليه فى قوله تعالى: (عليكم أنفسكم) (المائدة/١٠٥). ذلك أن التركيب "عليكم" اسم فعل أمر معناه "ألزموا". إذ أن النحاة العرب أدركوا أن خلف التركيب الظاهر يكمن تركيب آخر باطن فى ضوئه يتحدد المعنى الوظيفى لعناصر التركيب. لأن تفسير المعنى معتمد على تركيب مقدر. فهو جملة فعلية بسيطة دعامتاها "فعل الأمر "ألزم"، والفاعل "واو الجماعة". ولما كان اسم الفعل هذا متصفا بصفات فعله المتعدى تطلب مفعولا به "أنفسكم" وعد هذا التركيب الإسنادى جملة لعدم اكتشاف تركيب آخر له، فهذا التعبير يطابق الجملة البسيطة المستوفاة المبنى والمعنى. أما أسماءالأفعال هذه إذا كانت مرتبطة بتركيب سابق أو لاحق فتسمى وحدات إسنادية بسيطة. ونلفت الانتباه إلى أن مثل هذه الوحدات الإسنادية لا تكون إلا فعلية.

---

(١) لأن بعضهم يعد المفعول به عنصرا أساس يا مثل المسند والمسند إليه.

(٢) بو معزة رابح: المرجع السابق، ص ١٦٧.

ثانياً : الوحدة الإسنادية المركبة:

بعد أن عرفنا الوحدة الإسنادية البسيطة التى تتكون من ركنين بسيطين (مفردين) فى أبسط صورها. ننتقل إلى تعريف الوحدة الإسنادية المركبة. فهى التركيب الإسنادى الذى يكون عنصراً أو أكثر من عناصره الأساسية أو المتممة وحدة إسنادية بسيطة، على أن يكون هذا التركيب الإسنادى غير مستقل بنفسه.

ونقف على نموذج لهذه الوحدة الإسنادية فى الآية الكريمة: (قال إنه يقول إنها بقرة صفراء) (البقرة/٦٩). وهى "إنه يقول إنها بقرة"؛ حيث إن هذه الوحدة الإسنادية الاسمية المركبة ورد خبر "إن" فيها وحدة إسنادية فعلية مركبة. وعد هذا التركيب وحدة إسنادية لأنه مرتبط بتركيب سابق "قال وقد أدت هذه الوحدة الإسنادية الاسمية المركبة وظيفة مقول القول.

ومن خلال استقرائنا للوحدات الإسنادية المركبة التى مثل لها الأستاذ "أحمد خالد" سجلنا ملاحظة خطيرة مؤداها أنه جعل الوحدة الإسنادية المركبة رديفة الجملة المركبة؛ حيث وجدناه قد صنف المثالين اللذين ساقهما لهذه المسألة و هما: "الأم شأنها فى الحس أعظم". و "من سعادة المرء أن يرزق السعادة" ضمن الوحدة الإسنادية المركبة مثلها كمثل الوحدة الإسنادية البسيطة لا تكون إلا ضمن الجملة المركبة على الرغم من إقراره بأنهما مكتملتا المبنى مستوفاتا المعنى. وهما فى حقيقتهما جملتان اسميتان مركبتان.

الخاتمة:

وأمام هذا الاضطراب الملاحظ، وحتى لا يبقى مصطلحا الجملة والوحدة الإسنادية مستغلقين نلفت الانتباه إلى أن الوحدة الإسنادية دال يحيل إلى مدلول محدد ينبغى أن لا ينصرف ذهن الملتقى إلا إليه عند إطلاقه. هذا المدلول الذى يحمله هذا

الدال المتمثل فى الوحدة الإسنادية إنما هو التركيب الذى "يتوفر فيه شرط الإسناد ولا يتوفر فيه شرط الاستقلال" أى أن الوحدة الإسنادية تطلق فقط على التركيب المتضمن المسند والمسند إليه الوارد ضمن تركيب أكبر منه، سواء أكانت هذه الوحدة الإسنادية بسيطة أم مركبة. وجريا على ذلك نرى أن مصطلح "الجملة" هو الآخر دال لا يحيل إلا على التركيب الإسنادى بسيطا كان أم مركبا. ذلك أن إفراد مصطلح "الوحدة الإسنادية" الذى التبس مفهومه على الكثيرين على التراكيب الإسنادية المرتبطة بما قبلها أو بعدها، وإفراد مصطلح "الجملة" على التراكيب التى لم تكن جزءا من أى تركيب آخر أوسع منها من شأنه تخليص نحونا العربى من الخلط والاضطراب اللذين ترى أن مأتاهما هو عسر حصر تحديد صارم لهذين المصطلحين، وعدم توحيد المصطلح للمدلول الواحد. لأن التعريفات السابقة للجملة التى مفادها أن كون التركيب الإسنادى جملة ليس بالصفة الثابتة فيه، وإنما هى حالة قد تتوفر فى سياق، وتنعدم فى آخر.

وأول ما يجب الالتفات إليه هنا هو الوعى بالفرق بين الجملة والوحدة الإسنادية. ومختصر القول إن الفرق الجوهرى بين الجملة والوحدة الإسنادية إنما يعزى فقط إلى توفر شرط الاستقلال أو عدم توفره؛ ذلك ان طبيعة البنية التركيبية لكل منهما غير مختلفة، حيث إن الجملة البسيطة والوحدة الإسنادية البسيطة كلتيهما تتالف فى أبسط صورها من مسند ومسند إليه منفردين. كما أن الجملة المركبة والوحدة الإسنادية المركبة كلتيهما يتوجب فى حدها الأدنى أن يكون أحد عناصرها وحدة إسنادية، سواء أكانتا اسميتين أم فعليتين.

* * *